كلية الآداب والفنون

قسم الفنون

السنة أولى جذع مشترك فنون/ السداسي الثاني

مقياس: السينما الناطقة

المحاضرة رقم 01 بعنوان:
"التسلسل التاريخي لظهور الفيلم الناطق"

في الوقت الذي كانت فيه الجماهير الأمريكية تُقبل بكثافة على قاعات العرض لمتابعة الأفلام الموسيقية، أحدث ظهور الفيلم الناطق صدمة فكرية وجمالية لدى عدد من كبار المخرجين ورواد الفن السينمائي، من أمثال تشارلي شابلن، وكينغ فيدور، ورينيه كلير، ومورناو، وبودوفكين، وأيزنشتاين. وقد عبّر الأخيران، على وجه الخصوص، عن موقفهما الرافض للسينما الناطقة من خلال بيان نقدي موجّه، أكدا فيه أن "كل إضافة كلامية إلى مشهد سينمائي مصوَّر على شاكلة المسرح تُفضي إلى إلغاء فعل الإخراج، وتتعارض مع الكلّية الفنية التي تتأسس أساسا على تلاحم المشاهد المتفرقة"، وهو ما يعني حصر التركيب بوصفه جوهر الفن السينمائي.

وانطلاقا من هذا التصور، دعوا إلى إعادة الصوت إلى وظيفته القائمة على التطابق المتزامن مع الصورة، بوصفه عنصرا مستقلا عنها، إذ لم يعد تزامن الصوت والصورة اختزالا للسينما الناطقة، بل غدا أحد أهم أدواتها التعبيرية.

لقد تطلّب إدخال الصوت إلى عالم السينما تجهيز آلاف قاعات العرض بمعدات تقنية جديدة، كما استدعى، بالنسبة إلى معظم الاستوديوهات التي كانت آنذاك مملوكة لشركات الإنتاج نفسها، تزويدها بعدة نظم صوتية في آن واحد. وقد شكّل هذا التحول في البنية التقنية للصوت تهديدا حقيقيا لجودة العرض السينمائي، إذ أدى إلى تشويهات جوهرية في الصوت. ونتيجة لذلك، جرى ابتكار أدوات تضمن ثبات سرعة مرور الشريط داخل آلة العرض، من بينها جهاز "تراي إرغون"(Tri-Ergon) ، الذي حال دون حدوث تذبذبات في سرعة العرض، وهو النظام الذي تبنّته شركة "فوكس" في الولايات المتحدة سنة 1927.

وقبل ذلك، وبعد الحرب العالمية الأولى، تسارعت وتيرة الأبحاث التقنية بالتوازي مع التطور السريع لوسائل البث الإذاعي، حيث أولت كبريات شركات الإذاعة والصناعات الكهربائية اهتماما بالغا بالابتكارات الجديدة. ففي عام 1920، انشغلت شركة "جنرال إلكتريك" بتطوير نظام لدمج الصوت بالصورة السينمائية، لتتبعها بعد عام كل من شركتي "ويسترن إلكتريك" و"بيل تيليفون" بتقديم نظام يعتمد على الأسطوانات.

وفي السياق ذاته، عملت مجموعة من العلماء والمخترعين الألمان على تطوير جهاز "تراي إرغون"، الذي آلت ملكيته لاحقا إلى شركة "توبيس–كلانغ فيلم".

وقد تحقق اكتمال الفيلم الناطق من خلال التوفيق بين مجموعة من التقنيات، شملت تسجيل الصوت وتزامنه مع الصورة، ثم إعادة إنتاجه وتكبيره ليغمر قاعة العرض. وكان تسجيل الصوت ممكنا منذ البدايات الأولى للسينما بفضل جهاز "الفونوجراف"* لتوماس إديسون و"الجرامافون" لإيميل برلينر، غير أن

* . اخترع هذا الجهاز سنة1877 ، وكانت وظيفته الأساسية تسجيل الصوت ثم إعادة تشغيله .يعتمد عمله على أسطوانة معدنية صغيرة مغطاة بطبقة رقيقة من الصفيح، تدور حول محور ثابت. فوق هذه الأسطوانة توجد إبرة متصلة بحاجز غشائي رقيق.

هذه الأجهزة لم تكن عملية ضمن تقنيات التصوير السينمائي، مما أدى إلى حلول مبكرة اعتمدت على تسجيل الصوت بشكل منفصل ثم مزجه بالأداء التمثيلي. ومع عشرينيات القرن العشرين، أصبح التسجيل المتزامن ممكنا بفضل ظهور التسجيل الكهربائي.

وفي هذا الإطار، يُعد تطوير النظام الصوتي للفيلم تمهيدا حاسما لظهور السينما الناطقة، ويرتبط ذلك على نحو خاص بالمخترع الأمريكي لي دي فورست(Lee de Forest) ، الذي يُنسب إليه إنجاز أول فيلم مصحوب بالصوت في نيويورك. ففي أفريل 1923، قدّم إسهاماته البارزة التي أسهمت في تشكيل نظام الصوت خلال حقبة السينما الصامتة، ومهّدت لبوادر السينما الناطقة، ومن أبرزها تسجيل اختراع "مكبّر الصوت الأوديون" (الصمام الثرليوني)* سنة 1906، وهو الجهاز الذي حل إشكالية تضخيم الصوت، على خلاف جهاز "كرونوفون غومون" الذي كان يعتمد على أبواق ضخمة وغير عملية.

وفي 6 أوت 1926، قدّمت شركة وارنر برنامجا سينمائيا كان من أبرز فقراته عرض فيلم "دون جوان" (Don Juan)بطولة جون باريمور وماري أستور، مصحوبا بموسيقى متزامنة ومؤثرات صوتية. وقد مثّل هذا العرض نقلة نوعية من خلال اعتماد نظام "الفيتافون"(Vitaphone)، الذي يتيح تسجيل صوت الممثلين على أسطوانة شمعية تُدار ميكانيكيا بالتزامن مع جهاز العرض السينمائي.

وفي ماي 1927، عُرض أول فيلم حواري قصير، وهو مونولوج بعنوان "قادمون ليمسكوا بي" للمؤدي تشيك سيل. وعلى هذا الأساس، جاءت الانطلاقة الحقيقية للسينما الناطقة خلال سنتي 1927 و1928، مكرّسة مرحلة نضج في تاريخ السينما الأمريكية، وذلك عندما قدّمت شركة وارنر فيلمها الروائي الثاني الذي

عندما يتحدث الشخص في الجهاز، تنتقل الموجات الصوتية الناتجة عن الكلام إلى الحاجز الغشائي، فيبدأ بالاهتزاز، وينتقل هذا الاهتزاز إلى الإبرة. ومع دوران الأسطوانة، تقوم الإبرة بنقش ذبذبات دقيقة على سطحها، تمثل شكل الصوت المسجَّل.

وعند الرغبة في إعادة سماع الصوت، تُستعمل إبرة أخرى موصولة بحاجز غشائي، تمر فوق هذه النقوش أثناء دوران الأسطوانة. تؤدي هذه الحركة إلى اهتزاز الإبرة والحاجز الغشائي من جديد، فتتحول الذبذبات المسجَّلة إلى أصوات تشبه الصوت الأصلي.

وبذلك يقوم مبدأ عمل الجهاز على مرحلتين أساسيتين:

- تسجيل الصوت بواسطة إبرة مخصّصة تنقش اهتزازات الصوت على الأسطوانة.
- إعادة إنتاج الصوت بواسطة إبرة أخرى تقرأ هذه النقوش وتحولها إلى موجات صوتية مسموعة.

*. يتكون من أنبوب زجاجي مفرغ يحتوي على ثلاثة أقطاب كهربائية: خيوط مسخنة، شبكة، ولوحة.

جمع بين المقاطع الغنائية والصوت المسجل والحوار، والمتمثل في فيلم "مغني الجاز"(The Jazz Singer)، الذي عُرض في 6 أكتوبر 1927، من إخراج آلان كروسلاند وبطولة آل جونسون. ورغم كونه فيلما صامتا في جوهره، فإنه تضمّن فقرات موسيقية متزامنة ومقاطع حوارية محدودة، من بينها العبارة الدعائية الشهيرة لجونسون: "لم تسمعوا شيئا بعد".

وقد تناول الفيلم موضوعا ميلودراميا يجسّد الصدام بين تقاليد موسيقية متباينة، بين الديني والجاز الدنيوي، مما أسهم في بلورة نمط سينمائي جديد هو الفيلم الموسيقي.

وأخيرا، في 6 جوان 1928، قدّمت شركة وارنر أول فيلم روائي ناطق بالحوار كاملا بعنوان "أضواء مدينة نيويورك"(Lights of New York)، من إخراج برايان فوي، وهو العمل الذي دشّن مرحلة جديدة في تاريخ الفن السينمائي، وأعلن الانتقال النهائي من عصر الصمت إلى عصر النطق.

المكتبة البيبليوغرافية:

*ديفيد روبنسون: تاريخ السينما العالمية 1895/1980، ترجمة: إبراهيم قنديل.

*Nouveau Larousse Illustré, 1897-1904.
*Encyclopédie "Nouveau Larousse Illustré", 8 volumes, 1906.
*Pierre Larousse, Grand Dictionnaire universel du XIXe siècle, 1878